

التعليم في الكونغو في ظل الاستعمار البلجيكي حتى عام ١٩٦٠ / دراسة تاريخية

أ.م.د. صباح حسن بديوي

أ.م.د. رنا جبوري موسى

Sabah.bidiwi@qu.edu.iqrana.mousa@qu.edu.iq

كلية التربية للبنات / جامعة القادسية

كلية الاداب / جامعة القادسية

المقدمة :

عد موضوع التعليم في المستعمرات الافريقية منها الكونغو من المواضيع ذات الاهمية فقد ألفت الحكومة البلجيكية التعليم كله على عاتق الجمعيات التبشيرية واصبح دور الحكومة البلجيكية مجرد التنسيق بين عمل الجمعيات الكاثوليكية والجمعيات البروتستانتية التي تعمل جنباً الى جنب في الميدان التعليمي ، اذ ارسلت الحكومة في اواخر السبعينات من القرن التاسع عشر الى الاقليم الذي اصبح دولة الكونغو المستقلة مجموعة من المبشرين الكاثوليك والبروتستانت والذين ادخلوا بدورهم مفاهيم التعليم الاوربي للسكان الاصليين .

يعد موضوع التعليم في الكونغو من المواضيع المهمة التي سلطت الضوء على طبيعة التعليم وما جاء به الاستعمار من امور جديدة للمستعمرة وما حققه من نتائج في خدمة التعليم في الكونغو ، وقد اشتمل البحث على مقدمة وخاتمة ، وثلاث محاور رئيسة منها : المحور الاول : دور البعثات التبشيرية المسيحية في الكونغو وتعليمها وركز بشكل اساسي على البدايات الاولى لوصول المبشرين الكاثوليك والبروتستانت الى الكونغو والتعاون بينهم وبين السلطات الاستعمارية في رسم السياسة الاستعمارية في الكونغو ومسالة الدعم المادي لها والتسهيلات الكبيرة التي حصلت عليها هذه البعثات من قبل الاستعمار البلجيكي من اجل بناء المدارس وبت ما تريده بلجيكا من رسالة تعليمية في الكونغو ، أما المحور الثاني فقد جاء بعنوان : الادارة التعليمية في الكونغو وركز على التغيرات الهيكلية الادارية لوزارة المستعمرات البلجيكية في الكونغو وتأثيرها على عملية التعليم هناك والقرارات

الادارية التي رافقتها والتغيرات المستمرة في مديريات التعليم في الكونغو ، اما المحور الثالث ، فقد سلط الضوء على الواقع التعليمي في الكونغو وهو دراسة تقييمية لهذا الواقع وبحث عن التطورات التي شهدها التعليم في الكونغو خلال فترات تاريخية مختلفة وفق احصائيات دقيقة بلجيكية ، ركزت على المدارس سواء الحكومية او المدارس التي تديرها البعثات التبشيرية ، ومن ثم جاءت الخاتمة وهي خلاصة ما توصل اليه الباحثان من نتائج من خلال دراستهم لهذا البحث .

اعتمد الباحثان على العديد من المصادر التي كانت بالغة الانكليزية كون الموضوع يتناول التعليم في الكونغو هذه الدولة الافريقية التي حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠ ، فقد واجه الباحثان عقبات عديدة لكن ابرزها هي ندرة الكتب والاطاريح والرسائل التي كتبت عن التعليم في الكونغو باللغة العربية مما اضطرنا للترجمة الى العربية ، وفي ختام هذا الجهد المتواضع يرجو الباحثان ان ينال رضا القارئ والله ولي التوفيق .

المحور الاول : دور البعثات التبشيرية في تعليم الكونغو :

وضع ليوبولد الثاني (١٨٨٣-١٩٠٩) افريقيا في مقدمة اهتماماته عندما كان ولي العهد فقد عقد في بروكسل مؤتمر للجغرافيين ١٨٧٦ والقى خطاباً اكد فيه اهمية التوجه نحو افريقيا وحث الجغرافيين والمستكشفين على ذلك من اجل حرية التجارة وفتح طرق تجارية وتصريف الانتاج الفائض وتأسيس شركات تجارية في افريقيا وبدأ العمل على ذلك .

وضعت الكونغو الحرة في اعقاب مؤتمر برلين تحت ادارة جمعية الكونغو برئاسة الملك ليوبولد الثاني بعد انتهاء نفوذ العرب هناك الذين كانوا بقيادة تيبوتيب الذي خاض صراعا ومعارك مع البلجيك من اجل ابقاء نفوذ العرب هناك لكن وبسبب التفوق العسكري استمرت الحملات العسكرية ضد الوجود العربي في الكونغو أو ما سمي بكونغو العرب حتى استطاعوا من القضاء عليهم والاستسلام عام ١٨٩٤ واصبحت الكونغو تدار من قبل الحاكم العام الذي يمثل السلطة التنفيذية يساعده عدة موظفين وسكرتير عام ، اما السلطة التشريعية فقد اسندت الى مجلس في بروكسل يتكون من رئيس ومستشارين وقد منح الحاكم حق اصدار القوانين ، وكان الملك يتولى تعيين كبار الموظفين الدولة أما الحاكم فله صلاحيات تعيين بقية الموظفين .

ان نشوء دولة الكونغو الحرة جاءت في اعقاب انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٥ وتم الاعتراف بالملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا لادارتها والتي اعتبرت حرية التجارة الخارجية في حوض الكونغو من قيادة المؤتمر .

وصل المبشرون الكاثوليك والبروتستانت إلى الإقليم الذي اصبح دولة الكونغو المستقلة في أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر، وأدخل هؤلاء المبشرون مفاهيم التعليم الأوروبي للسكان الأصليين، في البداية استخدم المبشرون الوعظ المتجول كوسيلة مفضلة للتبشير، لكن استراتيجيتهم سرعان ما تبلورت في إنشاء محطات البعثة التي بذلت جهود لتحويل سكان المناطق المحيطة بها، وأصبحت المدارس جزءًا حيويًا من هذه الجهود ، وقد تم تأسيسها أولاً في مراكز البعثات ، وفي وقت لاحق في القرى الإفريقية نفسها مع المتحولين الأصليين كمدرسين (١).

كانت الأوامر الكاثوليكية التي وصلت أولاً إلى الكونغو في الواقع مكونة من أمرين تبشيريين من أصول فرنسية (آباء الروح القدس ، و الآباء البيض) ، ولكن بمجرد تأسيس دولة الكونغو المستقلة رسمياً ، قرر ليوبولد الثاني أن يشارك البلجيكيون فقط في أعمال البعثة في الكونغو وبالتالي تم التوصل إلى اتفاق بموجبه سترسل هذه البعثات البلجيكية فقط إلى أراضي المبشرين، وفي الوقت نفسه شجع ليوبولد وأمر مقررًا في بلجيكا لإنشاء مهام استعمارية خاصة بهم (Nziem، صفحة ٣٤٦) ، ومهما كانت تفضيلاته فقد كان الملك مُلزماً بموجب أحكام قانون برلين لعام ١٨٨٥ بالسماح للبعثات بالعمل مهما كانت عقيدتهم أو جنسيتهم ، وهكذا قام البروتستانت البريطانيون والأمريكيون والاسكندنافيون أيضاً بتأسيس أنفسهم عبر المستعمرة (Masandi، ١٩٨٢، الصفحات ١٢٣-١٢٩) (Nziem، الصفحات ٣٥٣-٣٥٤) .

فقد حرص الملك ليوبولد الثاني على ايجاد مستعمرات له في افريقيا وشكل عام ١٨٧٨ لجنة لدراسة الكونغو الاعلى كانت مهمتها استعماريه لاكتشاف الكونغو وما فيها من منافذ للتجارة والصناعة ، وكلف هنري ستانلي مود لرئاسة الرحلة الاستكشافية الى الكونغو وبعد ذلك حلها واسس رابطة الكونغو الدولية عام ١٨٧٩ برئاسته والتي بدأت برحلتها بقيادة المستكشف هنري ستانلي مود الذي استطاع من اكتشاف منطقة الكونغو وعقد

(١) For a detailed account of the events during the First and Second Congo wars, see (Turner، ٢٠٠٧).

معاهدات مع الزعماء المحليين وإنشاء محطات المائية هناك وفتح طرق تجارية ومهد الطريق لترسيخ الاستعمار البلجيكي في الكونغو .

إلى جانب الجهود التبشيرية المستقلة فإن دولة الكونغو المستقلة أنشأت السلطات أحكاماً تعليمية محدودة خاصة بها ، وعلى الرغم من أن مشاركة الدولة في هذا المجال كان ضئيلة مقارنة باهتمامها بالاستغلال الاقتصادي فقد دعمت الدولة محاولات قصيرة لإرسال أطفال كونغوليين إلى بلجيكا لتعليمهم ، لكن الأعداد كانت صغيرة للغاية وبدلاً من ذلك سرعان ما حول المسؤولون انتباههم إلى تعليم الأطفال الأفارقة في المستعمرة نفسها (Kita، صفحة ١٣٦) (Nziem، صفحة ٣٥٥).

أشرفت سلطات دولة الكونغو المستقلة على إنشاء (مستعمرات المدارس) واي (المستعمرات المدرسية حرفياً) والتي جنّدوا فيها الأطفال الذين تم إطلاق سراحهم من العبودية أو كانوا من اليتامى ، وعلى الرغم من أن هذا في الواقع ربما لم يكن كذلك على الإطلاق ، فكانت هذه المعسكرات في الأساس عبارة عن معسكرات مدرسية ، إذ كان الأطفال يعيشون وكذلك يتعلمون منفصلون عن مواطنيهم ، وكان أحد الأهداف الرئيسية لهذه المدارس هو إنشاء مجموعة من المجندين لقوة الأمن العام الاستعماري ، تم تأسيس أول مدرسة في بوما العاصمة في نوفمبر أنفيرز في عام ١٨٩٠ ، وكانت إدارتها في البداية في أيدي ضباط الجيش ولكن سرعان ما تم منحها للمبشرين الكاثوليك ، وافتتحت مدرسة جديدة لتدريب المجندين في القوة العامة في بوما ، في حين أصبحت المستعمرات مدارس لها وغيرها من المدارس الجديدة التي يجري إنشاؤها في بوما ، وافتتحت مدرسة للكتاب عام ١٩٠٦ ، إلى جانب المدارس التجارية في بوما ويوبولدفيل وكيسنجاني ، وكانت هذه المدارس مزودة بموظفين حكوميين أو تجار أوروبيين (Gabudisa، ١٩٩٧، الصفحات ٥٥-٥٨) (Kita، الصفحات ٥٥-٥٨).

وتشير هذه التطورات إلى أن فترة التسعينيات وأوائل القرن العشرين كانت بمثابة تقسيم بين التعليم العسكري والتعليم السائد الذي ظل ساريًا طوال فترة الاستعمار ، فضلاً عن ذلك كانت الطبيعة النفعية للتعليم التي نشأت في ظل نظام ليوبولدي ، إذ تم تعليم الكونغوليين فقط من أجل أن يتمكنوا من أداء أدوار محددة تعد

ضرورية من قبل الدولة وعنصراً آخر لا يزال يمثل سمة من سمات النظم التعليمية المتقدمة بعد ١٩٠٨^(٢)

فقد كانت هذه الفترة من حكم الملك ليوبولد الثاني تعاني الكونغو من الارهاب والاجبار لسكان المحليين وسوء المعاملة وذلك باعتراف لجنة التحقيق البلجيكية التي شكلها البرلمان البلجيكي عام ١٩٠٨ من حيث التفرقة بين العامل الافريقي والاوربي ومن حيث اجرة العمل وكانت النظرة للكونغوليين على انهم اطفال قصر يحتاجون دائماً للوصاية والتوجيه دون ان يكون لهم حقوق مناقشة المسائل التي تخصهم وتعرضهم لاعمال القسوة والتعذيب واستغلت اراضيهم وسميت هذه الفترة فترة الاستغلال غير المنظم وهو ما سمي بنظام الوصاية الابوية .

على الرغم من أن الدولة قد أنشأت بعض المؤسسات التعليمية من تلقاء نفسها ، فإن غالبية التعليم الاستعماري الرسمي خلال هذه الحقبة كان محصوراً في المدارس الريفية التي تأسست عبر المستعمرة من قبل المبشرين ، وكانت هيمنتها على توفير التعليم منصوص عليها في القانون قبل مدة وجيزة من دولة الكونغو المستقلة أصبح الكونغو البلجيكي (Bulletin Officiel du Congo Belge، ١٩٠٨-١٩٠٩، الصفحات ٨٩-١٠٨).

المحور الثاني : الادارة التعليمية الاستعمارية في الكونغو :

عقد ليوبولد الثاني معاهدة ١٩٠٦ مع الفاتيكان ، وهي الوثيقة التأسيسية للكونغو البلجيكية التي ظلت سارية طوال مدة ما بين الحربين ، ومع ذلك تم توقيع اتفاقات أخرى أيضاً لتصبح قانوناً خلال سنوات ما بين الحربين التي عدلتها العلاقة بين الإدارة البلجيكية للكونغو وجمعيات الإرسالية الكاثوليكية ، وهذه أمور مهمة لفهم تطور نظام التعليم الاستعماري ، كان النظام البلجيكي الجديد بطيئاً في التصرف في مجال التعليم بعد ضم المستعمرة في عام ١٩٠٨ واندلاع الحرب العالمية الأولى وما تلاها من نقل وزارة المستعمرات إلى المنفى في لندن

in 1953 but this was ^(٢), states that another treaty was signed between the Belgian Congo and Vatican (Nziem) never ratified and the old one remained in force (صفحة ٣٥٢).

، إلا أن ذلك لم يؤد إلى مزيد من العمل (Bulletin Officiel du Congo Belge, ١٩١٤)، الصفحات ٨٦٩-٨٦٦ (Bulletin Officiel du Congo Belge, ١٩١٨)، صفحة ٥٠٠).

وكانت الإدارة التعليمية للمستعمرة كما هو الحال مع معظم السلطة التشريعية والإدارية ، متمركزة في بروكسل طوال المدة شكلت الخدمة التعليمية في الأصل جزءاً من وزارة الداخلية التابعة لرابطة الدول المستقلة، ولكن في المرسوم الملكي المؤرخ ٣ نوفمبر ١٩٠٨ الذي حدد تنظيم وزارة المستعمرات الجديدة ، أصبحت المديرية العامة الأولى مسؤولة عن العدالة والتعليم العام ، قسمه الأول مسؤول عن الطوائف والثالث عن الرفاهية والتعليم العام ، وقسم مرسوم ملكي آخر بتاريخ ٢٥ يناير ١٩١٠ ، المديرية العامة الأولى إلى ثلاث مديريات لكل منها قسمين فرعيين آخرين ، والجمعيات الدينية ، والتعليم العام ، و (الإحسان) (أو الحكم الاجتماعي) تم تجميعهما معاً في القسم الثاني بالمديرية الأولى ، داخل الإدارة العامة الأولى (Bulletin Officiel du Congo Belge, ١٩٢٨، صفحة ١٤٧٠).

أعيدت هيكله الوزارة في عام ١٩١٤ عندما أنشأ مرسوم ملكي ٩ مديريات تضم ١٧ قسماً ، اذ كانت المديرية السابعة مسؤولة عن (الطوائف والتعليم العام) وقسمت إلى قسمين ، أولهما تضمن التعليم في اختصاصها ، على الرغم من هذا إعادة التنظيم لم تدخل حيز التنفيذ إلا بعد الحرب العالمية الأولى، وتمت عملية إعادة تنظيم أخرى في عام ١٩٢٨ عندما تولت الإدارة العامة الثانية للوزارة مسؤولية (شؤون السكان الأصليين ، والطوائف ، والتعليم ، والنظافة) ، وتم تقسيمها إلى ثلاث مديريات ، تضمنت أولها التعليم ضمن (مكتبها) ، والثاني أخيراً في ديسمبر ١٩٤٦ ، وأصبح التعليم المكتب الثالث في المديرية الرابعة للإدارة العامة الأولى بالوزارة .

على الرغم من هذه التغييرات الكثيرة ، بقي موظفو الخدمة التعليمية في بروكسل ثابتين بشكل ملحوظ تجسيدا لهذا الاتساق ، وأهم شخصية هو إدوار دي جونغي ، وهو كاثوليكي قوي شغل منصب نائب المدير في المديرية العامة السابعة من ١٩١٤-١٩١٩ ، كمدير لقسمها الأول من ١٩١٩-١٩٢٥ ، ورئيس الخدمة في المدة

من ١٩٢٥ إلى ١٩٢٨ ، وأصبح De Jonghe مديراً عاماً له ، يعمل في هذا المنصب من ١٩٢٨ إلى ١٩٣٩ ، اذ كانت مشاركته الشخصية في تطبيق السياسة التعليمية حاسمة في تعقيدها بشكل عام (٣) .

وقد خضعت وزارة المستعمرات لإعادة تنظيم طوال المدة المبكرة لوجود المستعمرة ، وكانت هناك تغييرات على قدم وساق داخل الكونغو من خلال إنشاء عدد من المدارس (الرسمية) (المدارس الرسمية) خلال العشرينيات من القرن الماضي ، تتبع نموذج المدارس التي تم إنشاؤها من قبل رابطة الدول المستقلة في عام ١٩٠٦ وتم افتتاح مدرسة ابتدائية في بوما في عام ١٩٠٨ تحت إشراف علماني ، ولكن تم تسليمها لمعهد إخوان المدارس المسيحية، كما كان اتجاه مدرسة ابتدائية رسمية افتتح في يوبولدفيل عام ١٩١٠ ، كانت هذه المدارس تعرف باسم (الرسمية) وتختلف عن المدارس الأخرى في المستعمرة لأنها تمولها الدولة بشكل كامل ومباشر ، ولأنها وضعت في أيدي الرهبانيات الدينية لتعليم الأخوة والأخوات تم افتتاح مدارس أخرى في لوبومباشي عام ١٩١١ ، والتي يديرها رهبنة ساليزيانية ، وفي لوسامبو عام ١٩١١ ، وفي كابيندا عام ١٩١٢ يديرها الإخوان الخيرية في غنت ، وفي ستانليفيل وبوتا عام ١٩١٣ يديرهما الأخوان ماريست ، وبحلول عام ١٩١٩ كانت أول مدرسة رسمية للبنات قد افتتحت في مواندا ، لتوفير التعليم للفتيات السود والعرق المختلط والتي تديرها جمعية أخوات المحبة ، كما يتضح من التقرير السنوي لعام ١٩١٩ عن إدارة المستعمرة تباين التعليم المعروض في هذه المدارس تبايناً كبيراً خلال هذه الحقبة المبكرة ، وتغيرت أعدادها أيضاً خلال الحقبة الاستعمارية مع نقل بعضها إلى نظام الدعم الذي صيغ عام ١٩٢٥ (٤) .

شهد عام ١٩١٦ بداية عملية استشارية حول الإصلاح التعليمي المقترح ، وكانت الخطوة الأولى في هذه العملية هي سلسلة من ثلاثة استبيانات حول هذا الموضوع وزعت من قبل وزارة المستعمرات ، واستهدفت هذه الاستبيانات ثلاث مجموعات مختلفة من الأوروبيين الناشطين في الكونغو وهم : وكلاء الدولة ، والمبشرين ،

(٣)Edouard De Jonghe (1878-1950).The information in this paragraph on the progress of De Jonghe's career within the Ministry is drawn from the catalogue for documents relating to missions in the African Archives of the Belgian Ministry for Foreign Affairs. He was also a Professor at the Catholic University of Louvain.

The Christian Brothers, also known by the abbreviation of their latin name F.S.C., was founded in (٤) France in 1680 by Jean-Baptiste de la Salle (١٩٩٧ ، صفحة ٨١) .

ورجال الأعمال ، واحتوى كل استبيان على مجموعة من الأسئلة التي تركز على جوانب مختلفة في التعليم ، بما في ذلك تصور الحكم الحالي ، والطلب على أنواع مختلفة من العمال المدربين ، ولغات التعليم الممكنة ، واستمرت مدة التشاور التي أظهرها استطلاع الرأي هذا بداية حتى عام ١٩٢٥ ، عندما بدأت الإصلاحات الناتجة في شكل (مشروع) تم الاتفاق عليه بين جمعيات الإرسالية الكاثوليكية والدولة (Gabudisa، ١٩٩٧، صفحة ٨٢) .

وكانت المعالم البارزة خلال هذه الحقبة التشاورية الممتدة لعقد من الزمان كانت زيارة لجنة صندوق فيليبس ستوكس للتعليم في أفريقيا إلى الكونغو في عام ١٩٢١ ، وإنشاء لجنة استشارية للتعليم في عام ١٩٢٢ وتقريرها اللاحقة ، وترأس لجنة صندوق فيليبس - ستوكس ، توماس جيسي جونز القس الأمريكي والخبير في التعليم الزنجي ، وكان أعضاؤه الآخرون من المبشرين والمربين البريطانيين والأمريكيين ، فضلا عن الكونغو البلجيكية ، وزارت اللجنة أيضا سيراليون وجولد كوست ونيجيريا وجنوب إفريقيا وأنغولا وليبيريا ، وقدمت تقريرها الذي نُشر عام ١٩٢٢ ، بتقييم التعليم الاستعماري الذي يتم توفيره حاليا للأفارقة ووضع رؤية لحكم مستقبلي قائم على مبادئ التعليم (المكيف) للسود الذين كانوا يتمتعون بشعبية في الولايات المتحدة في الأساس ، جادلت هذه النظرية بأن السود في الولايات المتحدة أو في إفريقيا سيكونون أفضل خدمة من خلال التعليم المصمم وفقا لظروفهم والذي سيكون أفضل تجهيز لهم لمستقبلهم في الممارسة العملية ، وكان هذا يعني التركيز على العمل الزراعي ، والمهارات التجارية ، وكان المحتوى الأكاديمي محدودا للغاية ، ومن الواضح أن مثل هذه المناهج الدراسية ذات المنحى المهني كانت قريبة من تلك التي يتم توفيرها بالفعل في مدارس الإرساليات والمدارس الحكومية في الكونغو ، وبالتالي تم اعتماد (التعليم المكيف) بسهولة كأساس نظري للنظام المتطور هناك (Jones، ١٩٢٢).

نشرت لجنة استشارية بلجيكية في عام ١٩٢٢ تقريرها الخاص عن اتجاه التعليم في المستقبل في المستعمرة ، وتكونت هذه اللجنة من موظفي الخدمة المدنية والمبشرين الكاثوليك ، وبعضهم من ذوي الخبرة في التدريس في المستعمرة ، حدد تقريرها تعليم السكان السود في المستعمرة بأنه عامل أساس في ارتفاع العرق الأسود ، وذكر بأن السكان الأصليين لن يكونوا قادرين على المشاركة في الجوانب المادية للاستعمار إذا لم تكن مرتفعة لدرجة أعلى من الحضارة ، وتقع هذه التعليقات على التعليم ضمن خطاب (مهمة حضارية) ، وكانت الأفكار

الواردة في التقرير تتفق إلى حد كبير مع النظام اذ كان يتطور بالفعل على أرض الواقع رغم أنه توقع توحيد البرامج والهياكل المدرسية في جميع أنحاء المستعمرة^(٥).

كان النظام المقترح يتمثل في وجود ثلاثة مستويات ، الأولى من مدارس الريف الابتدائية ، والمستوى الثاني من المدارس هو تدريب الفئة العليا في المجتمع الأفريقي ، وتشمل تدريب المتداولين ممن يتقنون القراءة والكتابة ، في حين أن الطبقة الثالثة تتكون في الغالب من المدارس العادية التي تركز على تكوين المعلمين للمدارس الريفية ، كما تضمن التقرير التمييز العنصري الذي حدد التعليم في الكونغو ، على الرغم من اعترافه بأن بعض الكونغوليين يحتمل أن يكونوا قادرين على ممارسة المهن الحرة ، واقترح أيضًا بأن العرق ككل لم يكن مستعدًا لمثل هذه التطورات وأنه يجب أن لا تكون الأولوية لإنتاج نسخ سيئة من الأوروبيين ، بل لأفارقة صالحين ، وكان يجب تحقيق ذلك من خلال توفير التعليم الذي تم تماشيا مع مبادئ لجنة فيلبس ستوكس ، وتكييفها مع البيئة التي سيعيش الكونغوليين فيها حياتهم وعقليتهم في الممارسة العملية ويعني ذلك تركيزًا قويًا على العمل اليدوي والزراعي في جميع مستويات التعليم ، وتجنب تعلم الكتب التي كانت من المحتمل أن تجعل الكونغوليين يعدون أنفسهم فوق المهام اليدوية (Bureau du Comité permanent du congrès colonial national).

ونتيجة لذلك فقد أوصى كل من الخبراء الخارجيين في لجنة صندوق فيلبس ستوكس وأعضاء اللجنة الاستشارية البلجيكية بمتابعة سياسة تعليمية تماشيا مع مبادئ التعليم المكيف ، وهي مبادئ تتفق مع الاتجاه العام والطبيعة الدقيقة للنظام المراد إدخاله في المستعمرة ، تماشيا مع هذه السياسة من قبل وزارة المستعمرات في مشروع تنظيم التعليم المجاني في الكونغو البلجيكية بمساعدة المجتمعات المحلية للبعثات الوطنية ، وفي عام ١٩٢٥ قام هذا المشروع بإضفاء الطابع الرسمي على الشروط التي ستدعم بها الدولة مدارس الإرسالية الكاثوليكية ، وتم دعم بعض المدارس التي تديرها الكاثوليكية خلال أوائل العشرينات ، كما يتضح من المعلومات المقدمة في التقارير السنوية عن إدارة المستعمرة سعي مشروع ١٩٢٥ إلى توسيع هذا النظام ، وتوحيد هيكل ومحتوى التعليم الذي تقدمه البعثات الكاثوليكية عبر المستعمرة (Bureau du Comité permanent du congrès colonial national ، صفحة ١٤).

^(٥) For more on the development of adapted education in the United States and its influence on missionary thought see chapter five. See also (Küster، ٢٠٠٧ ، الصفحات ٧٩-٩٧) ب (Seghers).

لذلك أنشأ مشروع ١٩٢٥ نظام التعليم الهرمي الذي تطور في الكونغو خلال حقبة ما بين الحربين، كما كرس المبدأ الذي بموجبه تمول الدولة البعثات الكاثوليكية لتوفير التعليم من خلال الإعانات ، وتستبعد مجتمعات البعثة البروتستانتية من هذا الاتفاق المالي في السنوات التي تلت مباشرة صياغة المشروع ، وأبرمت وزارة المستعمرات اتفاقات إعانات بناءً على شروطها مع كل جمعية من البعثات الكاثوليكية الفردية ، وبدأت بدورها في تكييف مدارسها في المستعمرة مع البرنامج الجديد ، وفتح واحد جديد ، تم إقرار المشروع في القانون العام في عام ١٩٢٩ ، مع بعض التعديلات الطفيفة ، مثل منظمة القانون الدولي للكونغو البلجيكية ورواندا أوروندي ، وهي وثيقة أصبحت تعرف باسم (الكتيب الأصفر) ، فضلا عن تنظيم النظام المدرسي نفسه ، وشهدت حقبة ما بين الحربين أيضًا إنشاء نظام تفتيش في المستعمرة للإشراف عليه ، وكان على كل مجتمع من البعثات أن يرشح مفتشًا تبشيريًا (مفتش البعثات) كان مسؤولاً عن صياغة برامج المدارس وضمان تطبيقها وتقديم تقارير عن تشغيلها كل عام (Jones T ، الصفحات ٤-٦) (Seghers ، الصفحات ٤٥٥-٤٧٧) .

ويتم إرسال هذه التقارير إلى مفتشي المقاطعات بالولاية (مفتشي المقاطعات) الذين سيقومون أيضًا بزيارات للمدارس العاملة في مقاطعاتهم وتقديم تقارير خاصة بهم عن التقدم المحرز ، وخضع هذا النظام لبعض التغييرات خلال ثلاثينيات القرن العشرين ، إذ أصبحت مدارس الكتاب تُعرف باسم المدارس المتوسطة ابتداءً من عام ١٩٣٦ فصاعدًا كجزء من الاستعدادات لإعادة التنظيم التي كان من المقرر إدخالها من عام ١٩٣٨ ، لكن هذا لم يحدث بسبب الحرب العالمية الثانية (Gabudisa ، ١٩٩٧ ، صفحة ٦٦) .

وقد خضع النظام لتغييرات كبيرة خلال حقبة ما بعد الحرب بدءًا بالقرار الذي اتخذته روبرت غودنغ كوزير للمستعمرات في عام ١٩٤٦ لتوسيع نظام الدعم ليشمل مدارس الإرساليات البروتستانتية ، وهو القرار الذي دخل حيز التنفيذ في عام ١٩٤٨ ، وأعقب ذلك في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي محاولات لإنشاء نظام رسمي للتعليم العلماني في المستعمرة والذي أصبح متاحًا منذ عام ١٩٥٤ وما بعده ، وشهدت هذه الحقبة أيضًا افتتاح أول جامعة في مستعمرة لوفان في عام ١٩٥٦ ، في حين أن الكثير من التحول بعيدًا عن التركيز فقط على المدارس الكاثوليكية يمكن تعيينه بحق في التغييرات في السياسة البلجيكية في حقبة ما بعد عام ١٩٤٥ ، ويمكن القول أن جذور هذه الخطوة لإدراج البروتستانت في نظام الدعم يمكن إرجاعها إلى الثلاثينيات عندما

بدأ البعض داخل السلطات الاستعمارية في التشكيك في السياسة الحالية (Shaw، ١٩٨٤، الصفحات ٢٣٥-٢٥٢).

كان التعليم أحد مكونات الاستعمار الذي استخدمه مؤيدو النظام لدعم الحجة القائلة بأن الاستعمار الأوروبي كان (عملية حضارية وعصرية) ، وأصبحت المدارس واحدة من المواقع الرئيسية للاتصال بين الأوروبيين والاراضي المستعمرة ، لذلك ليس من المستغرب أنها كانت مصدر اهتمام كبير للباحثين ، وقد ركز المؤرخون الاستعماريون على إنشاء الدوافع الوظيفية التي تدعم سياسات التعليم ، مع التركيز على كل من العوامل الاقتصادية والعقائدية ، وركز بعض العلماء على المفارقة الأساسية للتعليم الاستعماري والتي تركز على الضغوط المتعارضة التي تعمل على صانعي السياسات : وهي ضرورة تدريب العمال على تلبية احتياجات الدولة الاستعمارية من جهة ، والخوف من أن توفير التعليم قد يلهم التطلعات السياسية المناهضة للاستعمار ، أو مجرد الطموحات الشخصية بين أولئك الذين حصلوا عليها ، وتم تحديد هذين العاملين على أنها في صميم القرارات التي اتخذت بشأن توفير التعليم من قبل البلجيكين في الكونغو ، ويتم تحليل النزاعات بينهما لإظهار أن توفير التعليم كان مسألة وسط بالنسبة للدولة الاستعمارية (Vanthemische، ٢٠٠٦، الصفحات ٩٢-١١٩) .

كما تم الاعتراف بالمدارس كموقع تتنافس فيه المبشرون والدولة على السلطة ، اذ سعى كل منهم إلى فرض نسختهم الخاصة من الاستعمار ، وتمت مناقشة دور المبشرين في توصيل الاتصال بالتعليم بشكل جيد ، لا سيما فيما يتعلق باستخدام المدارس كوسيلة لإيصال التبشير المسيحي ورموزها الأخلاقية ، وقد ركزت بعض الأعمال الحديثة على مدى استيعاب التلاميذ الذين مروا في المدارس الاستعمارية للأيديولوجيات التي تشربت بها الرسوم الدراسية ، وإلى أي مدى طوروا فهم العالم ، أو حتى رفض الأفكار الأوروبية التي تعرضوا لها ، ويكون هذا العمل أسهل عند التركيز على فترة ما بعد عام ١٩٤٥ ، اذ توجد إمكانية لإجراء مقابلات مع الأشخاص الذين مروا عبر نظام التعليم الاستعماري حول تجاربهم ، والوصول إلى المواد المصدرية التي كتبتها الشعوب المستعمرة ، سواء في يوميات أو كتب أو الصحف المحلية ، تجعل ندرة هذه الموارد من الحقبة السابقة للحكم الاستعماري ، على الأقل في حالة الكونغو ، من الصعب تحديد كيفية تفاعل الأفارقة مع التعليم الأوروبي ، على الرغم من أن هذا البحث يستخدم بعناية الوثائق التي تحتوي على تقارير عن المواقف الأفريقية - عادة التي تنتجها المبشرين -

لإلقاء بعض الضوء على مثل هذه الأمور عندما يكون ذلك ممكنا (Omenka, 1989, Madeira, 2005, الصفحات 31-60).

المحور الثالث : الواقع التعليمي الاستعماري في الكونغو :

لم يكن هناك الكثير من الاهتمام من قبل المؤرخين للقضايا المحيطة بسياسات التعليم في الكونغو البلجيكية ، اذ كان هناك عدد صغير من الأعمال التي تناولت الموضوع إما كنقطة تركيزهم الرئيسة أو كجزء من أعمال أوسع ، وتم تخصيص الجزء المتبقي من مراجعة الأدبيات هذه لإجراء تحليل مفصل لمحتوى هذه الأعمال ، من أجل إثبات علاقة هذا العمل بها ، ونجد في الكثير من الدراسات الاستقصائية العامة للاستعمار البلجيكي في الكونغو ان هناك ميل إلى افتراض أن إنشاء نظام الدعم والمشاركة البارزة من قبل الجمعيات التبشيرية الكاثوليكية في توفير التعليم ، يعادل تنازلاً عن مسؤولية التعليم من جانب السلطات الاستعمارية ، اذ كتب جان ستينجرز المؤرخ البلجيكي البارز في أواخر القرن العشرين أنه في الكونغو " تم ترك كل المبادرة للبعثات ، وقامت الحكومة بالاكتماء بتمويل ما خلقته البعثات" ، واعترفت بمشاركة الحكومة أو اهتمامها فقط في شكل تقديم اقتراحات من وقت لآخر (Stengers, 2005, صفحة 208) ، في حين ذكر آخرون مثل DK Fieldhouse و B.G. كما أن غابوديسا ، لم يكلف سوى الحد الأدنى من دوره في التعليم لسلطات الدولة البلجيكية ، واعترف مرة أخرى فقط بدورها في تقديم الدعم للبعثات الكاثوليكية (Fieldhouse, 1982, صفحة 362) (Gabudisa, 1997, الصفحات 46-49).

وقد تناولت الكثير من الدراسات التاريخية الواقع التعليمي الاستعماري في الكونغو ، ونظروا في جوانب مختلفة من النظام ، فقد أنتجت Busugutsala Gandayi Gabudisa دراسة استقصائية عن توفير التعليم في الكونغو الاستعمارية والتي نُشرت في عام 1997 ، ومع ذلك فإن الكتاب يتخذ مقاربة قانونية للموضوع ويركز بشكل حصري تقريباً على برامج التعليم المنشورة كمصدر له ، اذ إنه عمل وصفي إلى حد كبير يعرض التسلسل الزمني لتطوير التعليم ، لكنه يفتقر إلى تحليل لأهميته الأوسع أو تأثيره على المجتمع أو الثقافة الأفريقية ، في

حين يقدم الكتاب معلومات واقعية مفيدة ، فإن معظمها يركز على حقبة ما بعد عام ١٩٤٥ وهو لا يقدم سوى القليل للمناقشة حول أهمية التعليم الاستعماري في الكونغو (Gabudisa، ١٩٩٧).

إن التقييم الأكثر شمولاً لسياسة التعليم الاستعماري البلجيكي حتى الآن هو استعمار بيير كيتا كيانكينجي ماساندي واستعمار: Le Cas du Zaïre avant 1960 ، الذي نُشر عام ١٩٨٢ ، وبالتالي يخضع للقيود نفسها المفروضة على عمل بيتس فيما يتعلق بمواد الأرشيف (Yates، ١٩٧١، الصفحات ١٥٨-١٧١) (Yate، ١٩٧٦، الصفحات ١٩٣-٢٠٨) (Yates، ١٩٧٨، الصفحات ٣٣-٤٨) (Yates، ١٩٨١، الصفحات ٣٤-٦٤)، إذ يتم البحث في مسار السياسة التعليمية منذ نشأة رابطة الدول المستقلة حتى إنهاء الاستعمار في عام ١٩٦٠ وتأثيره الدائم على الرغم من تميز بنيات وحجج العاملين باختلافات ملحوظة .

خلال الحقبة الاستعمارية ١٩٠٨-١٩٦٠ ، صور البلجيكيون جهودهم في الكونغو على أنها (مهمة حضارية) ، وهي فكرة افترضت أن حياة الشعب الكونغولي ستتحسن من خلال التقدم والحداثة والثقافة التي جلبت إليه وفقاً لهذا المفهوم ، فإن الأبوية البلجيكية المحببة ستجلب الثقافة الأوروبية والدين والأخلاق لتربية الأفرقة من الوحشية ، وخلال المدة ١٩٠٨-١٩٣٩ كان التركيز على برامج الرعاية الاجتماعية ، مثل التعليم والرعاية الصحية ذا أهمية خاصة في التصريحات العامة لوزارة المستعمرات بشأن المستعمرة إذ سعت إلى فصل الحكم البلجيكي عن فضاء حقبة ليوبولد التي أثارت الكثير من الجدل الدولي (/AA/RA/CB/٥٨، ٧، ١٩٢٠، الصفحات ٤-٦) (/AA/RA/CB/٥٨، ٨، ١٩٢١، صفحة ٦) (Jonghe، ١٩٢٢، صفحة ٣) (Franck، الصفحات ٢٧٩-٢٨٠)، كان الهدف من هذا التركيز على الرعاية الاجتماعية في بيانات السياسة الاستعمارية هو تحسين الصورة الدولية للاستعمار البلجيكي ، وكانت الفصول التي تفصل الجهود المبذولة في مجال الرعاية الصحية والتعليم تحتل مكانة بارزة في التقارير السنوية حول إدارة المستعمرة ، وخلال المدة ١٩٢٠ إلى ١٩٣٠ تم تقديم هذه التقارير من قبل وزير المستعمرات إلى مجلس النواب البلجيكي كل عام ، وقدمت السلطات الاستعمارية نفسها كسبب بالتقدم الذي تم إحرازه في المستعمرة ، وتكررت فكرة (المهمة الحضارية) على مدار الحقبة ، كما في التقرير السنوي عن إدارة المستعمرة لعام ١٩٢١ والتي تنص على أن " الكثير من السكان الأصليين ، وتحسنهم الأخلاقي والاقتصادي [...] لا يزال مستمراً كونه الشاغل المهيم لسياساتنا (/AA/RA/CB/٥٨، ٨، ١٩٢١، صفحة ٦).

على الرغم من بروز المهمة الحضارية في الخطابة البلجيكية ، كان تطوير التعليم بطيئاً خلال السنوات الأولى لحكم الدولة البلجيكية ، فكان هناك عدد قليل من المدارس الرسمية أو المستعمرات التي تأسست في حقبة ليوبولد^(١) ، إلى جانب هذه طورت مجتمعات التبشير المختلفة ، الكاثوليكية والبروتستانتية أنظمة المدارس الخاصة بها ، وغالباً ما تضمنت هذه الأنشطة إنشاء مدرسة ابتدائية أساسية تركز على مهارات محو الأمية الأساسية والتعليم الديني في كل محطة مهمة رئيسية ، إذ يتم تعليم الأطفال الأفارقة من قبل المبشرين الأوروبيين وغالباً ما وفرت مثل هذه المحطات المهمة بعض التدريب المهني في المهن مثل صناعة الطوب والنجارة ، لأن أهمية العمل اليدوي لبناء الشخصية كانت أساسية في الإيديولوجية التبشيرية (Vanthemsche، ٢٠٠٦ ، الصفحات ١١٧-١٢٠) ، فضلاً عن وجود مدارس قروية بدائية ينقل فيها المعلمون الكونغوليون ، المدربون من قبل المبشرين ، التعليم الأساسي لمواطنيهم (Fetter، الصفحات ٩٥-١٢١) (Vellut، الصفحات ١٢٦-١٦٢) .

أدت هذه المخاوف والضغط مجتمعة وزارة المستعمرات إلى السعي لإضفاء الطابع الرسمي وتوسيع نطاق تعاونها مع جمعيات البعثة الكاثوليكية البلجيكية العاملة في الكونغو (Fetter، الصفحات ١٠٤-١٠٥) ، فإن هذا التعاون يعود إلى السنوات الأولى لجمهورية الكونغو المستقلة وقد تشربت بعنصر قومي منذ قرار ليوبولد الثاني بتشجيع الأوامر البلجيكية الكاثوليكية فقط لإرسال بعثات إلى المستعمرة ، وخلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين اتبع وزراء المستعمرات المتعاقبون ولا سيما وزارة التعليم هذه الاستراتيجية التي تهدف إلى تحقيق (بلجيكية) الكونغو ، لكن هذا لا يعني أن السلطات الاستعمارية ترغب في استيعاب الأفارقة في الثقافة البلجيكية ، وفي الواقع لم يكن لدى البلجيكين رغبة في إنشاء فئة كبيرة من الكونغوليين لكنهم سعوا إلى تثقيف الأفارقة بطريقة تجعلهم يقبلون شرعية الحكم الاستعماري البلجيكي ، وكان العنصر الأساسي لهذه السياسة هو تعزيز قبضة بلجيكا على السلطة في المستعمرة ، وتنفذت سياسات (البلجيس) الملهمة بالمثل في المجال الاقتصادي إذ سعت الوزارة لتشجيع الشركات المملوكة للبلجيكين وزيادة عدد السكان البلجيكين ، لا سيما في كاتانغا حتى شكلت غالبية الأوروبيين في المستعمرة ، وتم عرض تأثير هذا الفكر على سياسة التعليم في التقرير السنوي لعام ١٩٢٣ حول

(^١) Alice Conklin's critique of the French idea of the 'civilizing mission' in West Africa is useful here as, although its secularism after 1905 set it apart from that of Belgium, there were many commonalities. Conklin identifies the concept of 'mastery' as being at the heart of the 'civilizing mission'; see (Conklin، ١٩٩٧ ، صفحة ٦).

إدارة المستعمرة والذي جاء فيه : " وهكذا في مستعمرتنا ، التي يسكنها مواطنونا بالكاد ، فإن التعليم المقدم للسود سيسهم في تعزيز الطابع الوطني لاحتلالنا ... " (٧) .

كان هذا التركيز على (الشخصية الوطنية) واضحاً في مشروع التعليم لعام ١٩٢٥ ، الذي لم يحدد فقط المواد التي يجب تدريسها في كل نوع من أنواع المدارس المختلفة التي سيتم إنشاؤها بموجب النظام الجديد ، ولكن أيضاً حدد الموضوعات التي ينبغي أن يركز عليها الطلاب ، على سبيل المثال ، في التاريخ كان على الطلاب الكونغوليين أن يتعلموا الطبيعة الإيجابية والحضارية للاستعمار البلجيكي ، لاسيما أولئك الذين بلغوا المستويات العليا للنظام في الكونغو البلجيكية للعقدين المقبلين (Kita، الصفحات ١٧١-١٩١).

وقد اشار التقرير السنوي عن إدارة المستعمرة في عام ١٩٢٧ بالمدرسة العادية التي يديرها الآباء البيض في لوساكا ، وفي كاتانغا ، لأنها كانت تقترب من مستوى ممتاز من التدريس ، وتشير وثائق أخرى إلى أن الإدارة الاستعمارية كانت في الواقع محبطة من نتائج المدرسة واتجاهها ، فقدم مفتش التعليم في المقاطعة ، إ. رومان ، تقريراً عن المدارس التي يديرها الآباء البيض في عام ١٩٢٨ ، واشتكى من الحاجة إلى إعادة تنظيم مدرسة لوساكا ، بحجة أنها تحتاج إلى موظفين أفضل ، لأنها تثقيف كل من الأكاديميين وأولئك الذين يجري تدريبهم على التدريس ، شكاوى حول إدارة الآباء البيض لهذا النوع من المدارس لم تقتصر فقط على ذلك في لوساكا ، على سبيل المثال ، أوضح تقرير أرسل إلى وزير المستعمرات ، هنري جاسبار ، من قبل الحاكم العام ، أوغست تيلكنز ، في فبراير ١٩٢٩ بعض التحفظات على جودة التعليم الذي يقدمه الآباء البيض في المنطقة الشرقية ، كما ذكرت Tilkens أن ترك مفتش التعليم في المقاطعة ، M. Welvaert ، (انطباعاً متشامماً) بتعليقاته على موضوعاتهم (Gahungu، ٢٠٠٧، الصفحات ١١٦-١١٧) ، كانت المشكلة الرئيسية التي حددها تيلكنز هي تحديد الأولويات ، إذ ركز الآباء البيض على تدريب الكهنة في معاهدهم في مونغيري وتوجيههم الطلاب الواعدون في هذا التعليم بدلاً من المدرسة العادية التي تم تأسيسها هناك ، وضع الحاكم العام مسؤولية هذا القرار على

(٧) Jean-Felix De Hemptinne (1876-1958), was born in Ghent to a francophone family. He was the leader of the Benedictine mission in the Congo from its inception in 1910, when he became Vicar Apostolic of Katanga, a position he held until his death. He was ordained as a Bishop in 1932. On (Fetter)De Hemptinne in Elisabethville, see (١٠٧-١٠٤, ٧٥, الصفحات).

عائق المونسنيور رويلنز ، الذي كانت أولويته المطلقة هي الحلقات الدراسية في كل من لوساكا وموجي خلال السنوات الأخيرة من عشرينيات القرن العشرين ، تمامًا كما كانت الدولة تدفع بإدخال (الكتيب) ، كان هناك خلاف بين الآباء البيض والدولة حول كيفية إدارة هذه المدارس ومن الواضح من هذه الوثائق أن المفتشين الإقليميين شعروا أن الآباء البيض لم يدربوا عددًا كافيًا من المعلمين ، وأن الكثير من جهودهم قد تم إنفاقها على تعليم كهنة الشعوب الأصلية ، وكانت الأولويات المختلفة للدولة والبعثات قضية تتكرر كثيرًا (Stenger، ٢٠٠٠، صفحة ٦٥).

وكانت هذه الشكاوى حول إدارة المدارس العادية في لوساكا وموجي مدعومة بمراجع كثيرة في تقارير حول المدارس الفردية عن النقص الملحوظ في جودة الكثير من المراقبين ، أو المعلمين الكونغوليين الذين استخدمهم الآباء البيض ، فعلى سبيل المثال كتب ويلفيرت أنه : " لم يكن أي من أعضاء هيئة التدريس الملونين على عاتقهم المهمة " (Kita، الصفحات ٦١-٦٢) ، ومع ذلك أظهر ويلفيرت أيضًا أن رأيه في تطوير التعليم في الكونغو كان مختلفًا إلى حد ما عن الرأي الذي وضعته وزارة المستعمرات علنًا ، إذ قال إن توسع التعليم إلى (الكتلة العظمى) من السكان الكونغوليين ليس له قيمة تعليمية ، ويجب أن يتم تخصيص التعليم للنخبة فقط ، وهذا يتناقض بالطبع مع وزارة المستعمرات ووجهات نظر البعثات ، إذ سعى كلاهما للتأثير على أكبر عدد ممكن من الكونغوليين من خلال إنشاء مدارس قروية صغيرة ، وكذلك الحال بالنسبة إلى أن بعض الذين يدرسون في مدارس الآباء البيض لم يتلقوا تدريباً على القيام بذلك ، لكنهم كانوا من الدارسين أو القساوسة المعينين ، كما هو الحال في مدارس الأولاد في بودوينفيل وبروج سانت دونات سولا ، وهذا يخالف رغبة الدولة في أن يكون المسؤولون عن التدريس يتلقون تدريبات تربوية ، ويدعم تأكيد كيتا أن بعض البعثات الكاثوليكية استخدمت الإعانات المدرسية لتوظيف كوادرها الدينية في المدارس عندما لم يكونوا مؤهلين تأهيلاً صارماً (Derksen، ١٩٨٣، الصفحات ٦٠-٦١).

وكانت التقارير التي بقيت في أرشيفات المدارس التي يديرها الآباء البيض في المنطقة الشرقية وكاتانغا تأتي من عام واحد فقط ، مما يعني أنه لا يمكن تتبع مسار عمليات التفتيش والتقارير اللاحقة ، إلا أنها لا تزال تعطي بعض القيمة إلى الأفكار ، فضلاً عن الاختلافات بين المبشرين والدولة المفصلة انفا ، وألقت التقارير أيضًا بعض الضوء على المشاكل العملية لمحاولة تنفيذ برنامج عالمي في إقليم كبير مثل الكونغو البلجيكية ،

ويصدق هذا بشكل خاص على التقارير التي تم جمعها من قبل المفتشين التبشيريين ، الذين تم تعيينهم لتنظيم وتوجيه مدارس كل مجتمع البعثة ، والذين يقدمون تقارير إلى مفتشي التعليم في الولاية في كل عام عن تطوير التعليم الذي يضطلع به خاصة بهم المجتمع (Fetter، صفحة ١٧٣) (Vanthemsche، ٢٠٠٦، صفحة ١٣٧) (Politics in the Congo، Young، صفحة ٢٢٣).

كان هناك عدد كبير من القضايا التي أثرت على تطبيق وإدخال نظام التعليم الذي تفضله وزارة المستعمرات ، ومن الأمثلة على ذلك هو أنه في بعض الحالات أُجبرت المدارس على الإغلاق أو فقدت أعدادًا كبيرة من تلاميذها لفترات طويلة من الزمن بسبب وجود أمراض مثل الجدري والإنفلونزا ، وكان الحضور مشكلة كبيرة في مدارس الآباء البيض ، وكان شيئاً قد يتعطل ليس فقط بسبب المرض ولكن أيضًا الحياة البرية ، كما هو الحال مع وجود الأسود في منطقة تتجانيقا مورو ، وكان هناك تأثير أكثر اتساقاً على الالتحاق بالمدارس وهو ما كان بسبب إغراء العمل بأجر ، في الصناعة أو في المزارع ، وفي العديد من تقاريره قدم المفتش التبشيري للآباء البيض آرثر فان دن بولكي تقارير عن حالات مختلفة من هذا وحتى يشير إلى أنه في منطقة كيفو في المقاطعة الشرقية ، قد يحل الطلاب الشباب أحياناً محل آبائهم أو إخوانهم الأكبر سنًا للعمل على الطرق ، مرة واحدة وقد تم تجنيد الرجل الأكبر سنًا رسمياً ، علاوة على ذلك يشير في التقرير نفسه إلى أن المستوطنين سعوا إلى توظيف النساء والأطفال لحصاد القهوة لأنهم قادرون جسدياً على العمل ومصدر أرخص للعمل من الرجال البالغين ، بينما كان من الصحيح ، كما هو مبين أدناه أن شركات الامتياز الكبيرة سعت للعمل مع البعثات لإنشاء المدارس ، ولا تزال هناك إمكانات وضغوط جعلت الأطفال يغادرون المدرسة قبل إكمال دراساتهم (Jewsiewicki، ١٩٨٦، صفحة ٤٨٨) .

وتبين حالة الآباء البيض أنه حتى داخل مجال عمل مجتمع البعثة الواحدة يمكن استخدام عدة لغات مختلفة في مدارسهم ، فتدرس محطة البعثة في كاسونجو وفي سولا في المقاطعة الشرقية باللغة السواحيلية ، وهي لغة تستخدم في جميع أنحاء المنطقة ، بينما تعمل مدارس بعثات كيفو في مجموعة من لغات الأم ، وكانت مشكلة اللغة إحدى المشكلات التي نشأت عن ذلك كنتيجة لنظام التعليم الهرمي الذي تم تقديمه ليس فقط أنه قد يتعين على التلاميذ التحول من التعلم بلغة إلى أخرى إذا انتقلوا للأعلى إلى مدرسة ابتدائية من الدرجة الثانية أو قسمًا خاصًا لاحقًا ، ولكن أيضًا تم تدريب المدربين كمراقبين بلغة مركبة ولكنهم اضطروا بعد ذلك للعودة للتدريس

بلغتهم الأم ، ويثير ذلك الأسئلة عن مدى تماسك نظام التعليم الذي أدخلته وزارة المستعمرات لاسيما في المستويات الأدنى لتنوع اللغة (Fetter، صفحة ١٠٦) (Kita، الصفحات ٥٠٠-٥١).

كانت المحاولات التي قام بها الآباء البيض في المنطقة الشرقية في عام ١٩٢٩ لتوحيد عطلة المدرسة الرئيسية التي استمرت ستة أسابيع محفوفة بالصعوبات بسبب المتطلبات المختلفة للظروف المحلية التي تواجه كل محطة مهمة ، في حين تم تحديد تاريخ البدء في ١٥ سبتمبر ، وقدمت استثناءات لمدارس كمدرسة Ngweshe ، إذ أن الكثير من الصبيان المسجلين هناك كانوا رعاة الماشية أيضًا وكان عليهم المغادرة حسب بداية موسم الجفاف لنقل قطعانهم إلى المراعي الصيفية ، فاضطرت مدارس كاسونجو وسولا إلى مراعاة وصول الأمطار في أغسطس عندما كان الكثير من التلاميذ يشاركون في مساعدة أسرهم في العمل الزراعي ، وهذه الأمور تسلط الضوء على أهمية الظروف المحلية في تطوير النظم المدرسية (Springer، ١٩١٦).

لقد أقتصرت التعليم في الكونغو على المدارس الأولية في بادئ الأمر ومع ذلك ف عام ١٩٤٨ اوصت لجنة بلجيكية باستثناء مدارس ثانوية للأفارقة حيث كان التعليم الابتدائي الام في الكونغو ثم يليها التعليم الثانوي ثم معاهد تأهيل المعلمين ثم التعليم الفني العالي وأخيراً الجامعي، ثم أن التعليم الجامعي كان يكاد معدوماً على مستوى أغلب الدول الأفريقية فالطلبة من المدارس الابتدائية بدأوا بالتدرج الى ان وصلوا فيها (١٦) خريجاً جامعياً فقط من بين سكان يزيد عددهم على (١٣) مليون نسمة (رودني، ١٩٨٨، صفحة ١٢١)

قامت وزارة المستعمرات بتطوير برنامج تعليمي موحد ، لكن تجارب الآباء البيض تظهر أن تطبيقه كان يخضع لمجموعة متنوعة من القوى المحلية مثل قضايا اللغة وأسواق التوظيف والمرض وحتى وجود الأسود وبالتالي كان على المبشرين أن يكون لديهم مجال كبير في كيفية تنظيم مدارسهم ، ويتضح من تقارير النقش المدرسي أن الشعب الكونغولي لم يكن متلقياً سلبياً للتعليم الذي توفره البعثات ، كان على المبشرين أن يرتبوا التقويم المدرسي حول الممارسات الزراعية المحلية ، وإلا فلن يتمكن تلاميذهم ببساطة من الحضور في أوقات معينة من السنة ، وتحدث نفس المشكلة أيضًا في التقارير السنوية الخاصة بالولاية ، ومن الواضح أن مصالح الدولة والبعثات استمرت في التنافس مع بعضها البعض خلال هذه المدة (Beke، ١٩٩٤، الصفحات ٥٧-٦٧).

شهدت الكونغو بعد الحرب العالمية الثانية تطورات في المجالات السياسية انعكست باهتمام الاستعمار البلجيكي بأوضاع الكونغو ومنها التعلم بسبب انتشار الأفكار الداعمة للحرية والمساواة وتقرير المصير ونمو الوعي السياسي في جعل الإدارة الاستعمارية تكون أكثر مرونة وضرورة منح الحقوق الكونغولية وفي عام ١٩٥٨ سمح بتشكيل الأحزاب السياسية ونشوء الحركة الوطنية الكونغولية مما انعكس على تطور التعليم والاهتمام به. أيضاً، شهدت الكونغو في السنوات الأخيرة ما قبل الاستقلال تطوراً كبيراً في مجال التعليم وذلك بسبب تغير سياسة نظام الحكم المحلي هناك التابع لبلجيكا والعمل على ما يسمى (التشاقف) في الكونغو وهي سياسة نقل الحضارة الغربية الى الكونغو مما ساهم في ظهور طبقة افريقية وتحسن ظروف السكن والصحة والتعليم والعمل والغاء التدريجي للعنصرية ودمج الافارقة في المنظمات والمجالس الاستشارية والجدول ادناه يوضح التطور في اعداد المدارس والطلبة الدارسين فيها من غير الأوربيين في الكونغو (أفارقة + اسيويين) للأعوام الدراسية (١٩٥٦ - ١٩٥٩) (حسن، ٢٠٢٣، صفحة ١٨٨).

جدول (١): التطور في اعداد المدارس والطلبة الدارسين فيها من غير الأوربيين في الكونغو (أفارقة + اسيويين) للأعوام الدراسية (١٩٥٦ - ١٩٥٩)

المجموع	مدارس دينية تعتمد على اعانات الدولة	مدارس دينية تعتمد على دعم الولاية	مدارس حكومية	العام الدراسي	القومية
١٩٩	١١٣	١٠	٧٦	١٩٥٦	اسيويين
٢٦٩	٤٣	٦	٢٢٠	١٩٥٧	
٢٧١	٥٨	٧	٢٠٦	١٩٥٨	
٢٦١	٧٠	١٠	١٨١	١٩٥٩	
٣١٢	١٨٦	٢٢	١٠٤	١٩٥٦	مدارس
٣٦٣	٢١٦	٢١	١٢٦	١٩٥٧	معترف بها

	١٩٥٨	١٥١	٢٦	١٩٥	٣٨٢
	١٩٥٩	١٧٤	٣٥	٢٢٨	٤٨٧
مدارس غير معترف بها	١٩٥٦	٤٦	١	٣٩	٨٥
	١٩٥٧	٦١	١	٤١	١٠٣
	١٩٥٨	٥٢	-	٣٨	٩٠
	١٩٥٩	٦٢	٤	٤٩	١١٥
أفارقة (كونغوليين)	١٩٥٦	١٦٢	٧	٣٤	٢٠٣
	١٩٥٧	١٧٦	٢١	٢٤٩	٤٤٨
	١٩٥٨	٣٧٩	٥٩	٤١٢	٨٥٠
	١٩٥٩	٦٨٢	٦٣	٧٤٨	١٤٩٣

يلاحظ من الجدول أعلاه حصول طفرة نوعية في عدد المدارس الأفريقية في الكونغو بمرور الاعوام الدراسية وخاصة في السنوات الأخيرة وهذا دليل على تغيير في نظرة الإدارة الاستعمارية البلجيكية تجاه التعليم في الكونغو فقد كانت هذه المدارس تدار من قبل المؤسسات الدينية (الكنائس) وبدعم من قبل الحكومة سواء في دفع الرواتب وتوفير البنايات المدرسية.

الخاتمة :

في حين كانت وزارة المستعمرات تعمل علي توفير التعليم في الكونغو باعتباره جزءًا من (مهمة حضارية) يتم من خلالها نقل الأخلاق والحدائثة الأوروبية إلى إفريقيا ، كانت الدوافع الحقيقية وراء شكل ومحتوى البرامج التعليمية في المستعمرة مختلف ، فمنذ البداية كانت هناك ضرورات اقتصادية تستلزم تدريب المساعدين والحرفيين الأفاارقة على النحو الذي أبرزته الأسئلة التي طُرحت في مسح ١٩١٧ الذي أجرته الوزارة ، وأثارت الدراسة الاستقصائية نفسها قضايا أخرى خاصة فيما يتعلق بالتأثير الأجنبي في كاتانغا والتي تطرقت إلى الحساسيات الموجودة سابقًا بين المستعمرين البلجيكيين ، عملت الردود التي وردت على الاستبيانات على توضيح الطبيعة المتنوعة لتوفير التعليم في جميع أنحاء المستعمرة ، والمستويات المختلفة للتطور في مختلف المناطق ، فضلا عن أن هناك القليل من الإجماع بين أولئك الذين سئلوا عن كيفية توسيع التعليم ، وبالتالي أظهر المسح عدم وجود تماسك في التعليم الذي يتم توفيره بعد ذلك في المستعمرة ، وتغذى من عملية التشاور خلال أوائل العشرينات والتي أدت إلى إدخال برنامج ١٩٢٥ وخلفائه ، وكانت الأهداف الرئيسية لهذه البرامج هي إدخال التوحيد الذي

ينقصه الحكم الحالي ، وتطوير نظام تعليمي يلبي الحاجة الاقتصادية للعمال المدربين بينما يهدئ في الوقت نفسه المخاوف من التخريب المحتمل الذي قد ينشأ في حالة القراءة والكتابة وحصول الكونغوليون على سبل الوصول إلى الحركات المعادية للاستعمار .

كان لدى المجموعات التي تخشى وزارة المستعمرات من التأثير داخل المستعمرة قدرتها المشتركة على نقلها إلى السكان الكونغوليين المستعمرين - سواء في المدارس أنفسهم أو من خلال توزيع الأدب المحظور - المفاهيم التي قد تجعلهم ينقلبون على الدولة الاستعمارية ، سواء كان التهديد الصريح الذي تمثله الأيديولوجيات السياسية مثل النزعة الإفريقية والشيوعية ، أو الخطر الأكثر دقة الذي يمثله دين آخر (الإسلام أو البروتستانتية) أو انتشار لغات مختلفة (السواحيلية أو الإنجليزية) ، فقد استهدفت السلطات الاستعمارية البلجيكية أي الانحراف عن المفهوم المفضل لهوية استعمارية بلجيكية بحتة ، ومن الواضح أن الاهتمام تركز على إمكانات الكونغوليين التي وصلت إليها مثل هذه الأفكار لصياغة هويات من شأنها أن تميزهم عن التأثير البلجيكي ، وأن يتصوروا أنفسهم على أنهم شيء آخر بخلاف ما تريده الدولة ، وتم تعزيز هذه السياسات من خلال الخوف من التدخل في المستعمرة من قبل الحكومات الاستعمارية الأخرى ، والتي تشربت (بلقنة) المستعمرة وسكانها بأهمية إضافية ، ومن الواضح أن ظهور الأيديولوجيات المناهضة للاستعمار والثورية دولياً خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين ، وكذلك وجود الحركات النبوية داخل المستعمرة ، كان من الأمور الحيوية في تعزيز التزام وزارة المستعمرات بالمبادئ المنصوص عليها في تعليم ١٩٢٥ مشروع .

وقد تم إنشاء نظام التعليم بشكل يتعارض مع هذه العوامل كما هو في صالح الكاثوليكية ، كما يتضح من رغبة السلطات الاستعمارية في إنشاء مدارس غير تابعة للبعثة في المناطق التي استولت عليها كيمبانجويسم .

وكانت المدارس تعد ساحة قوية لنقل الأفكار المتعلقة بالدين والقواعد الأخلاقية واللغة والمكانة الاجتماعية ، وفي الأساس كانت بعض الجوانب الأساسية لصياغة الهويات الفردية أو الجماعية ، لذلك اضطرت وزارة المستعمرات إلى الاضطلاع بدور توجيهي في هذا المجال ، وكما رأينا فإن شروط اتفاقية تشارتي كولونيال والتزامات المعاهدات الدولية تعني أنه لا يوجد شك في أنه يمكن ببساطة حظر الجماعات غير المرغوب فيها من

فتح المدارس ، لهذا السبب اختارت الوزارة متابعة التشجيع والتمويل النشطين للمدارس المفضلة لديها ، وهي مدارس المجتمعات الكاثوليكية .

تم تطوير التطور الهرمي للتعليم ضمن نظام التعليم الذي تم تقديمه بعد عام ١٩٢٥ ، لكن من المهم أنه بحلول عام ١٩٣٨ لم يتقدم سوى حوالي ١٠٪ من التلاميذ في المدارس الابتدائية من الدرجة الأولى للآباء البيض إلى المستوى التالي من المدارس بالنسبة لآباء De Scheut ، كما هو موضح انفا ، علاوة على ذلك ظلت المدرستان العاديتان اللتان يديرهما الآباء البيض مرتبطتين بالمدارس الدراسية في لوساكا وموجيري ، وهو ما انتقده مفتشو الدولة لفترة طويلة ، مما يشير إلى أن البعثة استمرت في امتياز تدريب الكهنة على التزاماتها تجاه الدولة ، وبحلول عام ١٩٣٧ كان الآباء البيض مسؤولين عن تدريس ٢١١٦١٦ تلميذاً في المدارس الابتدائية من الدرجة الأولى ، و ٢٣٢٠ في المدارس الابتدائية من الدرجة الثانية، وعلى الرغم من أن هذه الأرقام شملت بعض المدارس التي تديرها الأخوة ماريست الذين يعملون أيضاً في منطقة بحيرة ألبرت ، كان لدى الآباء البيض تلميذاً فقط في مدرستين عاديتين ، في موجيري ولوساكا، ولم تدير المجموعة أي مدرسة مهنية أو أي مدرسة ابتدائية ، إذ أصبحت مدارس الكتبة معروفة .

المصادر الانجليزية

- .(١٩١٨) *Bulletin Officiel du Congo Belge* (بلا تاريخ).
- (ed.) Lévai .(٢٠٠٦) *Europe and the World in European Historiography* .Pisa: Edizioni Plus.
- AA/RA/CB/58/7.(١٩٢٠) .
- AA/RA/CB/58/8.(١٩٢١) .
- AA/RA/CB/58/8.(١٩٢١) .
- Alice Conklin .(١٩٩٧) *A Mission to Civilize: The Republican Idea of Empire in France and West Africa, 1895–1930* .Stanford, CA: Stanford University Press.
- Barbara A. Yate .(١٩٧٦) *The Triumph and Failure of Mission Vocational Education in Zaire, 1879–1908* .Comparative EducationReview, Vol. 20, No. 2.,
- Barbara A. Yates .(١٩٧١) *African Reactions to Education: The Congolese Case'*, *Comparative Education Review, Vol. 15, No. 2 .,*
- Barbara A. Yates ' .(١٩٧٨) *Shifting Goals of Industrial Education in the Congo, 1878–1908* .African Studies Review, Vol. 21, No. 1.
- Barbara A. Yates .(١٩٨١) *Educating Congolese Abroad: An Historical Note on African Elites* .International Journal of African Historical Studies, Vol. 14, No. 1.
- Bogumil Jewsiewicki .(١٩٨٦) *Belgian Africa'*, in A.D. Roberts, (ed.)*Cambridge History of Africa, Volume 7: From 1905–1940* .Cambridge: Cambridge: Cambridge University Press.

Bruce Fetter .(بلا تاريخ) . *Creation of Elisabethville1910–1940* .

Bryant P. Shaw .(١٩٨٤) . *Force Publique, Force Unique: the Military in the Belgian Congo, 1914–1939* .Madison: PhD thesis: University of Wisconsin.

.(بلا تاريخ) *Bulletin Officiel du Congo Belge* .(١٩١٤) ,

.(بلا تاريخ) *Bulletin Officiel du Congo Belge, 1908–1909* .

.(بلا تاريخ) *Bulletin Officiel du Congo Belge, 1928* .

Bureau du Comité permanent du congrès colonial national .(بلا تاريخ) . *Rapport sur la question d'enseignement au Congo* .Brussels: Goemaere: 1922.

Busugutsala Gandayi Gabudisa .(١٩٩٧) . *Politiques éducatives au Congo–Zaire: de Léopold II à Mobutu* .Paris: L'Harmattan.

Crawford Young .(بلا تاريخ) . *Politics in the Congo* .

Crawford Young .(بلا تاريخ) . *Politics in the Congo* .

D.K. Fieldhouse .(١٩٨٢) . *The Colonial Empires: A Comparative Survey from the Eighteenth Century, 2nd edition* .London: Macmillan.

Dirk Beke .(١٩٩٤) . *Land–law in Belgian Central Africa' in Jap de Moor and Dietmar Rothermund (eds), Our Laws, Their Lands: Land Laws and Land Use in Modern Colonial Societies* .Berlin: LIT Verlag.

Edouard De Jonghe .(١٩٢٢) . *L'Instruction Publique au Congo Belge* .Brussels: Goemaere.

Friedrich Stenger .(٢٠٠٠) .*White Fathers in Colonial Central Africa: A Critical Evaluation of V.Y. Mudimbe's Theories on Missionary Discourse in Africa* .

London: PhD thesis: SOAS, University of London.

Guy Vanthemsche .(٢٠٠٦) .*The Historiography of Belgian Colonialism in the Congo', in Csabain Csaba Lévai, (ed.), Europe and the World in European Historiography* .Pisa: Edizioni Plus.

Henry Morton Stanley .(١٨٧٨) .*Through the dark continent, or, the sources of the Nile, around the Great Lakes of Equatorial Africa and down the Livingstone River to the Atlantic Ocean* .London: Sampson Low.

Henry Morton Stanley .(١٨٩٠) .*In Darkest Africa: or the Quest, Rescue and Retreat of Emin, Governor of Equatoria* .London: Sampson Low.

Henry Morton Stanley .(١٨٩٣) .*My Dark Companions and Their Strange Stories* . London: Sampson Low.

Thomas Jesse Jones .(١٩٢٢) .*Education in Africa: A Study of West, South, and Equatorial Africa by the African Education Commission, under the Auspices of the Phelps-Stokes Fund and Foreign Mission Societies of North America* .New York: Phelps-Stokes Fund.

Jean Stengers .(٢٠٠٥) .*Congo: Mythes et Réalités* .Brussels: Editions Racine.

Jean-Luc Vellut .(بلا تاريخ) .*Mining in the Belgian Congo* .

John McKendree Springer .(١٩١٦) .*Pioneering in the Congo* .New York: The Katanga Press.

Kita .(بلا تاريخ). *Colonisation et Enseignemen* .

Louis Franck .(بلا تاريخ). *Le Congo Belge, vol. 1* .

Maud Seghers .(بلا تاريخ). *Phelps–Stokes in Congo: Transferring Educational Policy*.

Méthode Gahungu .(٢٠٠٧). *Former les Prêtres en Afrique: Le roles des Pères Blancs (1879)* .(١٩٣٦–Paris: L’Harmattan.

na Isabel Madeira .(٢٠٠٥). *Portuguese, French and British Discourses on Colonial Education: Church–State Relations, School Expansion and Missionary Competition in Africa 1890–193* .Paedagogica Historica.

Ndaywel è Nziem .(بلا تاريخ). *Histoire Generale du Congo* .

Nicholas Ibeawuchi Omenka .(١٩٨٩). *The School in the Service of Evangelization: The Catholic Educational Impact in Eastern Nigeria, 1886–1950* .Leiden: Brill.

Pierre Kita Kyankenge Masandi .(١٩٨٢). *Colonisation et Enseignement: Cas du Zaire avant 1960* .Bukavu :Éditions CERUKI.

Richard Derksen .(١٩٨٣). *Forminière in the Kasai, 1906–1939* .African Economic History, vol. 12.

Stanley Henry Morton .(١٨٨٥). *The Congo and the Founding of its Free State: A Story of Work and Exploitation* .New York: Harper & Brothers.

Sybillé Küster .(٢٠٠٧ ,٥). *Book Learning’ versus ‘Adapted Education’: the Impact of Phelps–Stokesism on Colonial Education Systems in Central Africa in the Interwar Period*.

Thomas Jesse Jones .(بلا تاريخ) .*Education in Africa* .

Thomas Turner .(٢٠٠٧) .*The Congo Wars: Conflict, Myth, and Reality* .London:
Zed Books.

المصادر العربية

هديل عبد الجواد حسن .(٢٠٢٣) .السياسة البلجيكية تجاه الكونغو وأثرها على الأوضاع الداخلية (١٩٥٨ -
١٩٦٢) . مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد ٥١ .

والتر رودني .(١٩٨٨) .*أوروبا والتخلف في أفريقيا*، ترجمة أحمد القصير . الكويت: سلسلة عالم المعرفة.